

التفسير المطول - سورة النور 024 - الدرس (01-23): تفسير الآياتان 1 - 2 سبب تسميتها بهذا الاسم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-10-1988

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

سبب تسمية سورة النور:

أبها الإخوة المؤمنون مع الدرس الثاني من سورة النور، أولا: لماذا سُميت هذه السورة سورة النور؟ بعضهم يقول: لأن ما فيها من أحكام تشريعية، وما فيها من آداب خلقية، وما فيها من أصول أسرية تعدُّ بمثابة النور الذي يُلقى على حياة المجتمع، فمجتمع بلا آداب، بلا حدود، بلا أحكام، بلا معاملات وفق الحق والكمال هو مجتمع في ظلام:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)

سورة البقرة

يخرجهم من الظلمات إلى النور بهذه الأحكام التشريعية، بالأحكام المتعلقة بالنساء، بأحكام الزواج، بأحكام الطلاق، بأحكام حسن المعاملة، بآداب المجتمع، بالآداب التي يجب أن تكون بين أفراد الأسرة، فلذلك سميت هذه السورة سورة النور لأن أحكامها التشريعية، وآدابها الخلقية بمثابة النور الذي يضيء جنبات حياتنا الاجتماعية.

محور سورة النور: الأسرة والقيم الأخلاقية:

الشيء الآخر، هذه السورة تتجه إلى الأسرة، والأسرة هي نواة المجتمع، فالمجتمع قائم على خلايا، الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، لذلك أكثر أحكام هذه السورة تتجه إلى الأسرة، وإلى حفظ

الأنساب، إلى الآداب، إلى التعفف، إلى عقوبة الانحراف الخُلقي، إلى عقوبة الخيانة الزوجية، كأن هذه السورة تتجه إلى الأسرة، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع.

شيء آخر؛ هذه السورة بأكملها أيضاً تتجه إلى ترسيخ القيم الخلقية في المجتمع، فالمجتمع دون قيم خلقية مجتمع حيواني، مجتمع بهيمي، تتحكم فيه الغرائز، والانفعالات السفلية، تتحكم فيه النزوات، مجتمع دون قيم خلقية هو مجتمع كالبهائم، لذلك تتجه عناية هذه السورة إلى الأسرة تارة، وإلى القيم الخلقية التي ينبغي أن تسود المجتمع تارة أخرى.

وهذا مثل نضربه للتوضيح: لو أن بيتاً فخمًا بُني على أحدث طراز، وأُنثت بأفخر الأثاث، وجُهِّز بكل التجهيزات، فيه كل الأدوات والآلات، لكن لا يوجد في هذا البيت نوافذ، وليس فيه إضاءة، فما قيمة جمال بنائه، وما قيمة جمال أثاثه، وكيف يهتدي الإنسان إلى مداخله ومخارجه، وإلى استعمال أدواته، واقتناء أجهزته، كل ما فيه من ميزات لا تُعرف إلا بالنور، لذلك خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض، وأنزل الكتاب:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)

سورة الأنعام

وقال عز وجل:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ (1)

سورة الكهف

فكأن الله سبحانه وتعالى بما أنزل علينا من تشريعات، بما أنزل علينا من كتب، بما بعثه فينا من أنبياء ورسول، كأن الله سبحانه وتعالى نور السماوات والأرض، لذلك يقول الله سبحانه وتعالى في هذه السورة:

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَى نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)

سورة النور

فالنور هو الحقيقة التي تصح بها حياتنا، وهو من عند الله، وليست هناك جهة غير الله يمكن أن تأخذ منها الحقيقة، الحقيقة وحدها من الله عز وجل، لأن الله نور السماوات والأرض، فلذلك سميت هذه السورة سورة النور لأن فيها إضاءة لحياتنا.

في حياتنا شيء مباح، وشيء ممنوع، وآخر حرام، أمرنا الله بغض البصر، أمرنا بحفظ الفرج، أمرنا بعدم الاختلاط، أمرنا بالزواج، نهانا عن الزنى، جعل للزنى حداً رادعاً، وحداً قاسياً، فهذه التشريعات

لحياتنا الاجتماعية بمثابة النور الذي يضيء جنبات هذه الحياة، لذلك سميت هذه السورة سورة النور، تتجه إلى الأسرة أولاً، وإلى ترسيخ القيم الخلقية ثانياً، وهذا النور الذي سُميت به هذه السورة مضاف إلى ذات الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

كل مشكلة وراءها معصية:

فما من مشكلة تقع في المجتمع إلا وراءها معصية، وما من معصية إلا وراءها جهل، فالإنسان إذا آمن بالله عز وجل أخرجته من الظلمات إلى النور، وقد وُصِفَ هذا القرآن مرات عديدة بأنه نور يمشي المؤمن بهداه، قال تعالى:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)

سورة الإسراء

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا، أَوْ مُؤَبِّقُهَا.

صحيح مسلم

إنك إذا اتصلت بالله عز وجل قذف الله في قلبك النور، فرأيت به الخير خيراً، والشر شراً، فكلمة هذه السورة؛ سورة النور فيها من الضياء، وفيها من النور ما يكشف به كل ملابسات الحياة التي نحياها. شيء آخر؛ لو أن مجموعة من القوارير فيها مواد مختلفة، ولا تُعْرَفُ هذه المواد، بعضها نافع، وبعضها ضار، بعضها عديم الجدوى، وبعضها سامٌّ، بعضها شديد السُمِّيَّة، بعضها ثمين، وبعضها رخيص، قوارير متشابهة، فيها مواد مختلفة، فأنت إذا ألقيت عليها نوراً كشافاً فعرفت بهذا النور كل عنصر ممّ يتألف، وثمرته، واستعماله، وفوائده، ومضاره، أو أنه أُلصِقَ على كل قارورة لوحة صغيرة تقول لك: هذا العنصر كذا وكذا، وفوائده كذا وكذا، واستعمالاته كذا وكذا، فالكتابة التي يمكن أن تكون على هذه القارورة كأنها نور كشاف، فعندما يقول ربنا عز وجل: هذا حرام، وهذا حلال، وهذا نافع، وهذا ضار:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)

سورة النور

هذه الآية نور، فالأحكام الشرعية نور تهتدي به، فحينما تغض بصرك عن محارم الله يلقي الله في قلبك حلاوة إلى يوم تلقاه، حينما تغض بصرك عن محارم الله يخلق الله مودة بينك وبين أهل بيتك، حينما تغض بصرك عن محارم الله تشعر بالطهر، تشعر بالسمو، تشعر بالقدسية، إذاً هذا الأمر الإلهي بمثابة النور الذي ملأ حياتك ضياءً، وبهجة، وسروراً، وسكينة، وملأها اطمئناناً، وسعادة، فأى حكم إلهي إذا طبقت كان بمثابة النور في الظلام، هذا النور يبدد الظلام، يذهب الترهات، يذهب الأباطيل، لهذا قال الله عز وجل، أعيد الآية على مسامعكم مرة ثانية: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فإذا قرأت هذه السورة، وطبقت ما فيها خرجت من الظلمات إلى النور، وإذا كان هناك اختلاط، وكان هناك تجاوز لأحكام هذه السورة نشأت الخلافات الزوجية، وانتهت بالطلاق، وانتهت بضياح الأولاد، وتشريدهم، واختلاط الأنساب، وقد تنشأ معها الجريمة إذا رافقها عدوان، فلذلك إذا طبقت أحكام هذه السورة كان النور الذي يشع من ثنيتها يبدد الظلام الذي يعيشه معظم الناس، فبالنور تظهر قيمة البيت الفخم المؤثت بأثاث غال، والمجهز بأجهزة متنوعة، ولكن بلا نور ما قيمة هذا البيت؟ قوارير فيها مواد مختلفة من دون لصائق ما قيمة هذه المواد؟ لا تعرفها ولا تعرف كيف تستعملها، أو تتجنب مضارها، وكيف تعرف فوائدها، لا تعرف شيئاً، لذلك يعني تسمية هذه السورة، أو كما يقولون: اسم على مسمى، سورة النور، إنك إذا قرأتها، وتمعنت فيها، ووقفت عند أحكامها، وطبقت أحكامها شع النور في حياتك، شع النور في بيتك، ولا تنسوا أن سيدنا عمر رضي الله عنه قال:

عَلِمُوا نِسَاءَكُمْ سُورَةَ النُّورِ.

سنن سعيد بن منصور، وذكره البيهقي مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن مجاهد

وسوف ترون -إن شاء الله تعالى إن أذن الله بشرحها إلى آخرها- كيف أن فيها من التشريعات، وفيها من الآداب ما لو طبقت لأصبح بيت المسلم جنة على الأرض، لو طبقت هذه الأحكام لأصبحت بيوت المسلمين جنات على وجه الأرض.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةٌ

كما قلنا في الدرس الماضي: إن هذه السورة، هذه الآية الوحيدة التي فيها كلمة سورة:

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1)

سورة النور

سورة النور سورة تربوية:

في هذه السورة موضوعات متنوعة، ولكن يجمعها محور واحد، هو نظام الأسرة، الآداب الاجتماعية المتعلقة بالنساء، القيم الخلقية المتعلقة بعلاقة الرجل بالمرأة، الحدود المانعة، والحدود

الرادعة، هذا كله يفهم من كلمة سورة، وأن هذه الآيات العديدة التي تشملها سورة النور بمجملها تتمحور حول محور واحد، ألا وهو علاقة الرجل بالمرأة، وثانياً النظام الاجتماعي الذي ينبغي أن يكون سائداً في البيت.

هذه السورة يمكن أن تكون من نوع التربية، التربية تعني التوجيهات المستمرة لنقل الإنسان من طور إلى طور، فيها توجيهات إلهية تنقل المسلم من طور إلى طور، هذا الكلام كله ينضوي تحت كلمة:

﴿سُورَةٌ﴾

أَنْزَلْنَاهَا

أما: ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ فالإنزال يتم من شيء مرتفع إلى شيء منخفض، فهذه التشريعات ليس مصدرها بني البشر، ولكن مصدرها إله البشر، هذه التشريعات إنما أنزلت من السماء، والإنسان لا يتقبل تشريعاً إلا إذا كان من عند خالق الأرض والسموات، لأن الخالق هو المشرع، فمثلاً إذا صنع معمل آلة، فأية جهة مؤهلة أن تصدر تعليمات تشغيلها؟ إنها الجهة الصانعة، هذا في عالم الصناعة، الجهة التي صنعت هذه الآلة وحدها مؤهلة أن تصدر نشرة في بيان طريقة استعمالها، وطريقة صيانتها، وطريقة أن يكون مردودها جيداً، فالصانع هو المشرع، ولأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، وهو العليم الخبير، والحكيم العليم، وهو اللطيف الخبير، وهو القدير، وهو الغني، وهو السميع، وهو البصير، هو وحده سبحانه وتعالى يمكن أن يشرع لنا فيما يمس علاقاتنا الاجتماعية، هذا معنى أنزلناها:

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ وهذا يعني أن تطبيق هذه الأحكام ليس من قبيل الزيادة، ولا من قبيل التجمل، ليس من قبيل أن تأخذ شيئاً، أن لك أن تأخذه، ولك ألا تأخذه، ليس هذا هو الموضوع.

ليس للعبد خيار أمام أحكام الله: وَفَرَضْنَاهَا

يعني أنه إن لم تطبق ما فيها من أحكام انقلبت حياة الإنسان إلى جحيم، دُمِر البيت، وفسد، طَلقت الزوجة، وتشرد الأولاد، وهذا يحدث يومياً، ما من طلاق جرى، تعسفياً كان أو غير تعسفي، ما من فراق بين زوجين، ما من أولاد قد شردوا إلا بسبب مخالفة لأحكام هذه السورة.

لذلك: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ هذا يعني أن الإنسان ليس له خيار، لأن الله تعالى يقول:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ

يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (36)

سورة الأحزاب

أنت ليس لك خيار، عندما يُنزل ربنا عز وجل في قرآنه الكريم حكماً تشريعياً، أمراً، نهياً، فليس للمؤمن خيار، الخيار قد انتهى، أنت تختار أن تأكل هذا الطعام، أو ذاك الطعام، أنت هنا مخير، أنت

تختار أن تسكن في هذا الحي، أو في ذاك الحي، أن تقترن بهذه المرأة، أو بتلك، ولكن فيما أنزله الله من أحكام تشريعية ليس لك خيار، لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فالله عز وجل أمرنا بغض البصر، فلا يجوز أن نقول: هذا ممكن، وهذا ليس ممكناً، أو أن الزمان صعب، والوقت معقد، الفساد عمّ، والطريق مليء بالنساء الكاسيات العاريات، هذا الكلام مرفوض، لأن ربنا عز وجل قال:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (258)

سورة البقرة

ولا يمكن أن يكون الأمر الإلهي إلا في إمكان كل إنسان أن يطبقه، فذلك: ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ الفرض؛ لنفترض أنك قلت: تتوقف حياتي على شرب الماء، فشرب الماء فرض، تتوقف حياتي على تنفس الهواء، فتنفس الهواء فرض، تتوقف سعادتني في الدنيا، والآخرة على تطبيق هذه الأحكام، فهذه الأحكام هي فرض من قبل الله عز وجل، لذلك: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ الأوامر التي سوف تأتي في هذه السورة لا مجال للحل الوسط فيها، فلما يقول بعض الصناع: لا يوجد في الآلة حل وسط، إما أن تكون وفق ما صُمت، وإما أن تتوقف عن العمل، كذلك الإنسان؛ إما أن يطبق هذا التشريع بكل ما فيه، بجمله وتفصيلاته، أو أن تصبح حياته حياة مُنكّدة، حياة فيها الشقاء، وفيها الهلاك.

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فيها أحكام تشريعية، وفيها آيات تعرف بذات الله سبحانه وتعالى، وفيها آيات تشريعية، وآيات كونية، فالآيات التشريعية فرَضْنَاهَا، والآيات الكونية بيَّنَاهَا، فإذا عرفت الخالق طبقت أمره، لذلك يجب أن تعرف الأمر قبل أن تعرف الأمر، هكذا قال أصحاب النبي العدنان:

كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا

صحيح ابن ماجه

فإذا تعلمت الشرع قبل أن تعرف الله عز وجل فإنك لن تطبقه، بل تحتال عليه، أما إذا عرفت الله أولاً من خلال هذه الآيات الكونية، إذا عرفته خشعت له، فإذا خشعت له بحثت أنت عن أمره، وطبقت أمره بحذافيره، وطبقته بإخلاص ودقة، لذلك اعرف الله سبحانه وتعالى.

وهذا يؤكد الإمام الغزالي رضي الله عنه إذ يقول: "العلم بالله، وبأمر الله، وبخلق الله"، فالعلم بالله أن تعرف الله سبحانه وتعالى، وأن تعرف أسماءه الحسنى، وصفاته الفضلى، أن تعرف لماذا خلقك؟ ولماذا أوجدك؟ أن تعرف الغاية التي من أجلها أنت على وجه الأرض، أن تعرف أن الله سبحانه وتعالى حسيب، لم يخلق الإنسان سُدى، لم يخلقه عبثاً قال عز وجل:

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)

سورة المؤمنون

وقال:

أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدى (36)

سورة القيامة

فهذا الذي يعصي الله بالتأكيد لا يعرفه، قد يعرف أمره ونهيه، وقد يتبحر في أمره ونهيه، وقد ينال في ذلك أعلى الشهادات، هذا عالم بأمر الله، وليس عالماً بالله، لأن علامة العالم بالله أنه يخشاه، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى اللَّهَ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ .

سنن الدارمي

وعلمة الذي يعرف أمر الله أنه يعرفه إذا سألته عن قضية في المواريث، في أحكام التجويد، في أحكام الطلاق، في أحكام البيوع، هذه موضوعات كلها تحتاج إلى دراسة، وإلى حفظ، وإلى تذكر، وإلى أداء امتحان، وتُحَفَظُ، وتُؤَلَّفُ فيها كتب كثيرة جداً، ولكنك إذا عرفت الله أطعته، وإذا عرفت هذه الأحكام حفظتها، ولا يغنيك إلا أن تعرف الله، فإذا عرفت الله فتعلم بعدها كل شيء، لأن كل شيء بعد معرفة الله كالصفر أمام الواحد، معرفة الله واحد، هي الأساس، فإذا عرفت بعض الأحكام التفصيلية فهذا صفر أمام الواحد، صاروا 10، إذا علمت أحكام المواريث 10 أحكام البيوع 100 صاروا، أحكام النكاح 1000 صاروا، إذا عرفت أصول الفقه 10000 صاروا، إذا عرفت هذه الأشياء الإسلامية الدقيقة كلما عرفت علماً أضيف إلى ذخيرتك، فإذا عرفت كل هذه العلوم، ولم تعرف الله عز وجل فهذه كلها أصفار، لا يوجد فيها واحد، لذلك: أصل الدين معرفته كما يقول الإمام علي كرم الله وجهه (أصل الدين معرفته)، ابن آدم اطلُبْني تَجِدْني، فَإِذَا وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتِّتَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ولأن التدين عند الإنسان بالفطرة أحياناً تأتي الشهوات، وتأتي الدنيا، وما فيها من متاعب تطمس هذه الفطرة، فهذه الآيات للتذكرة،

فكل إنسان يعرف الله عز وجل بالفطرة، فإذا انطمست هذه الفطرة احتاج إلى مذكّرات، لو أن الإنسان كان صافياً، كان بعيداً عن كل مشكلة، بعيداً عن كل قضية، عن كل همّ، عن كل إغراء، وعن كل ضغط، لو ابتعد عن وُحُولِ الحياة، تستيقظ فيه الفطرة، فطرته تدعوه إلى الإيمان بالله عز وجل، وإلى طاعته، فهذه النفس لا تسعد إلا إذا أُوتِ إلى الله عز وجل، جربوا، قال تعالى:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)

سورة طه

وقال سبحانه:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

سورة النحل

سورة النحل

فلذلك لا يسعد الإنسان إلا بالله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأن الفطرة طيبة،

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)

سورة الروم

فالإنسان بالأصل فطرته سامية، لذلك إذا تحدث الأجانب عن بعض الانحرافات الخلقية يقولون: إن هذه الانحرافات تسبب شعوراً بالكآبة، فعلاً! لماذا؟ لأن هذا الشعور بالكآبة هو تحرك الضمير، تحرك الفطرة العالية، الحق حق، والباطل باطل، في كل مكان، وفي كل زمان.

الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)

سورة النور

حكمة إيداع الشهوة في الإنسان:

طبعا ربنا سبحانه وتعالى حينما أودع فينا هذه الشهوة أودعها لحكمة بالغة، وهذه الشهوة لا يمكن أن توصف بأنها شريرة ولا خيرة، إنها حيادية، قوة دافعة تدفعك إلى شيء ما، الله سبحانه وتعالى أودع في نفس كل إنسان حب النساء، والعكس بالعكس.

رُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)

سورة آل عمران

فهذه الشهوة إنما أودعها الله في الإنسان ليرقى بها إلى الله، كيف ترقى قطعة الخشب إلى الله، فهي لا تحب، ولا تكره، ولا تغضب، لكن الإنسان بما فيه من شهوات إذا ضبطها ارتقى إلى الله عز وجل، إذا مرّت امرأة سافرة، وغضضت بصرك عنها فعلت هذا من أجل من؟ من أجل الواحد الديان، لأن هذا أمره، تميل نفسك إليها، لكن إرادتك ألزمتك أن تعض البصر عنها، من هنا ارتقيت إلى الله صابراً، فإذا تبعت الطريق المشروعة التي رسمها الله عز وجل ارتقيت إلى الله شاكراً، فالشهوة في الأصل لا يمكن أن تسمى شريرة، الله سبحانه وتعالى أودع فينا هذه الشهوة من أجل أن تنتشأ الأسرة، فإذا وجدت سيارة قد تدهورت في قاع الوادي هل تقول: يا أخي هذا المعمل هو الذي فعل هذا الحادث؟ لا! المعمل صنع هذه السيارة من أجل أن تتركبها، وتنتقل بها من مكان إلى آخر، أما هذا السائق الذي قادها مخموراً، ونزل بها في الوادي فهو الذي أساء، فهل توصف هذه السيارة بأنها شريرة؟ لا، صانعها قد صنعها من أجل أن تكون في خدمتك، كذلك الشهوات إنما أودعها الله في الإنسان لترقى به، لا لتهلكه، فإذا أساء استخدامها يهلك نفسه.

مثلٌ من واقع الناس:

شئ بسيط جداً، 3 مساحيق بيضاء، سكر، وملح، ومنظف، فإذا وضعت السكر في الشاي فهذا عمل خَيْر، تشرب الشاي، وتحمد الله عليه، وإذا وضعت الملح في الطبخ تأكل الطعام، وتحمد الله عليه، وإذا غسلت الصحون بهذا المسحوق تحمد الله على هذه النعمة؛ نعمة الصابون، فإذا وضعت هذا المسحوق التنظيفي في الطبخة ألقيتها في سلة المهملات، وإذا وضعت الملح في الشاي لفظت هذا الشاي، ما هو الشر؟ حينما تسيء استخدام هذه المواد، الشر هو إساءة الاستخدام، المواد كلها خيرة، فحينما تتزوج، وتتجب الأولاد، ويكبر الأولاد، وترى أن هذه الأسرة أصبحت عشاءً إسلامياً فيه السعادة، والسرور، والطمأنينة، والوفاء، والمحبة، والأنس، تشعر أن الحياة الزوجية فيها أنس، وربنا عز وجل قال أنّ من آياته الشمس والقمر، ومن آياته الليل والنهار، آياته كثيرة جداً:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)

سورة الروم

فربنا سبحانه وتعالى حينما أودع في الإنسان هذه الشهوة من أجل أن تنتشأ الأسرة، وهي اللبنة الأولى في المجتمع، لا من أجل الزنى، ولا من أجل السفاح، لا من أجل دور اللهو، لا من أجل الأفلام الساقطة، هذا كله خلاف الأصول، وهذه كلها قنوات قدرة، وهناك قناة نظيفة واحدة، هي قناة الزواج. فهذه الشهوة التي أودعها الله في الإنسان جعل لها قناة نظيفة طاهرة خيرة مسعدة تأنس بها، وما سوى هذه القناة فالقنوات كلها قدرة ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾.

لابد لكل تشريع من مؤيد عقابي ردي:

تحدثت في الدرس الماضي عن أن التشريع لا قيمة له إلا إذا دُعِمَ بمؤيد، أي بعقاب، فالإنسان من طبيعته التقلت، وحينما يعرف أنه إذا زنى فلا بد أن يُلقى في ساحة عامة، وأن يُجلد على مرأى من الناس مائة جلدة، فإنه يعد للمليون قبل أن يزني، وقد قيل إنَّ الله لَيَرَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ.

فلو أن ربنا سبحانه وتعالى قال: الزاني فاجلدوه مئة جلدة لشمّل هذا الحكم الزانية على طريقة القرآن الكريم في كل الآيات، ولكن هنا لثلاثا يتوهم بعضهم أن الزاني هو وحده المعاقب، بينما الزانية لم يكن دورها إيجابياً، فإن الزانية جرمها في الزنى لا يقل عن جرم الزاني، لذلك فإن ربنا سبحانه وتعالى لو قال من باب التأكيد: الزاني فاجلدوه مئة جلدة، لانطبق هذا الحكم على الزانية، ولكن لثلاثا نقع في التباس، لثلاثا يُفهم من هذا الحكم أن المرأة إذا زنت فلا شيء عليها فإن ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ لكن هناك آية في سورة النساء قال الله فيها:

تنبيه مهم: هذا حد للزنا منسوخ:

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15)

سورة النساء

هذه الآية في سورة النساء كان مضمونها أن المرأة إذا زنت يجب أن تحبس في البيت حتى يتوفاها الله، ويجب أن تؤذى بالكلام، هذا الحكم نُسخ بهذه الآية، لماذا نسخ؟ لأن ربنا عز وجل حكيم، الأشياء التي كانت مستحكمة في الجاهلية كالخمر، والزنى جاء تحريمها تدريجياً، لأن النقلة المفاجئة قد تسبب صعقاً، وهذا تعليم لنا، الزنى كان متفشياً جداً في الحياة الجاهلية، بل إن الزانية كانت تضع على بيتها علامة تفتخر بها، بل إن الرجال كانوا يشتركون في امرأة واحدة زواجاً، فكان هناك فوضى في العلاقات الزوجية، لذلك ربنا سبحانه وتعالى بدأ بهذا التعذيب، أن تُحبس المرأة الزانية في البيت حتى يتوفاها الموت، فلما نزلت هذه الآية نسخت تلك الآية، وهذا النسخ معناه التدرج في التشريع، كيف إن الله سبحانه وتعالى قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43)

سورة النساء

ثم جاء التحريم القطعي، كيف كان التدرج في تحريم الخمر، كذلك كان التدرج في حد الزنى، من تعزير بمثابة حبس في البيت حتى الموت، إلى الجلد مائة جلدة، على كل هذا حد الزاني الحر، لأن

للزنى إذا اقترفه العبد حكم آخر، وحد الزاني الحر البالغ البكر؛ أي غير المحصن، غير المتزوج حده وحد الزانية الحرة البالغة البكر مائة جلدة، وأما الزاني المحصن المتزوج، فلو فرضنا أننا أردنا أن نبحث عن أسباب مخففة لهذا الزاني الحر، البالغ، العاقل، البكر، لو أردنا أن نبحث له عن بعض المخففات لوجدناه بدافع الشهوة، بدافع الحرمان، بدافع الضغط، لذلك حده مائة جلدة، لكن هذا الزاني المحصن الذي أكرمه الله بزوجة فما عذره؟ ليس له عذر، ضغط الشهوة لا أصل له، فهذا الشيء محقق عنده، ولكنه الفساد في الأرض، ولكنه إفساد العلاقات الزوجية، ولكنه تضييع الأنساب، ولكنه انتهاك الحرمات، ولكنه العدوان على زوج هذه المرأة، العدوان على زوجها، والعدوان عليها بأن جعلها زانية، والعدوان على أولادها بالتشريد، والعدوان على نفسه بجريمة الزنى، إن هذا الزاني المحصن ثبت في السنة أن حده الرجم حتى الموت، وبعضهم يستتبط من قوله تعالى:

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۗ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33)

سورة المائدة

وهل من فساد أبلغ من أن يُزنى بامرأة لها زوج وأولاد! وهل من فساد أبلغ من أن يزني الزوج وله زوجة وأولاد! تضييع الأنساب، يلحق الابن بغير أبيه، تنتقل المرأة من زوجة طاهرة إلى امرأة بغي، ينشأ الأولاد على انحراف خلقي فيضيعون أو يُشردون، فلذلك: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ يعني حتى الموت.

أحكام فرعية متعلقة بحد الزنى:

لكن هناك بعض الأحكام الفرعية المتعلقة بالزنى.

1 - مسألة الجمع بين الجلد والرجم:

أولاً: هناك خلاف حول الجمع بين الجلد والرجم، والجمهور على أنه لا يُجمع، فبعض الفقهاء رأوا أن الزاني المُحصن يُجلد، ويُرجم، بينما جمهور العلماء يرى أنه يَرجم فقط من دون جلد.

2 - مسألة الجمع بين الجلد والتغريب:

وهناك خلاف حول تغريب الزاني غير المحصن مع جلده، والتغريب أن يُنفى من مدينته، هذا الموضوع أيضاً خلافي.

3 - مسألة حد الزاني المملوك:

وهناك خلاف حول حد الزاني غير الحر.

هذه ثلاثة موضوعات خلافية تُترك لكتب الفقه، ولبعض الموسوعات الفقهية، ما هو حد الزاني غير الحر؟ وهل يُعزَّب الزاني غير المحصن مع الجلد؟ وحول الجمع بين الجلد والرجم هذه الموضوعات الثلاثة خلافية، أما الزاني غير المُحصن حده أن يُجلد مئة جلدة، والزاني المحصن حده أن يَرجم حتى الموت، وقد ثبت هذا بالسنة المطهرة.

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾

الحكمة من تقديم الزانية في الذِّكر:

لماذا قدمت الزانية؟ قال القرطبي في تفسيره: " قيل: لأن الزنى في النساء أعزّ، هو لأجل الحبل أضر، والمرأة إذا رُكِبَ فيها حياء فإذا زنت ذهب الحياء كله، والعار بالنساء أَلْحَق"، والمرأة هي المتسببة بالزنى في الدرجة الأولى، حينما تظهر مفاتها للرجال كأنها تدعوهم إلى الزنى، لذلك ربنا سبحانه وتعالى بدأ بالزانية لأنها الأصل في جريمة الزنى.

الحكم شامل لعموم الزنا:

شيء آخر: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ هذه الألف واللام هذه الـ الجنس، أي: أيّة زانية، وأيّ زانٍ كائناً من كان إذا زنا في ديار المسلمين يجب أن يُجلد إذا كان غير محصن، ويجب أن يُرجم إذا كان محصناً، هذه إشارة دقيقة، الآن الدول قوانينها نافذة على أرضها في حق كل إنسان يَطأ أرضها، سواء أكان من جنسيتها، أو من غير جنسيتها، فلو فرضنا أن إنساناً غير مسلم زنى فهذا يجب أن يَقام عليه الحد، ما دامت واقعة الزنى تمت في ديار الإسلام، هذه إشارة دقيقة جداً، فكل من يسكن مع المسلمين يجب أن يلزم حدودهم، ويجب أن يطيع تشريعهم، ويجب أن يدفع ثمن المخالفة، الآن أي إنسان ولو كان غير مسلم إذا سرق تُقطع يده، ما دامت هذه السرقة تمت في بلاد المسلمين، لذلك الزانية والزاني، أيّ جنس الزاني، وجنس الزانية، كائناً من كان، مسلماً أو غير مسلم، فاجلدوهما، فهذه الألف واللام تسمى في علم النحو ألف الجنس، تقول: الحديد، أيّ جنس الحديد، النحاس، قل: نحاس، لا، النحاس أيّ جنس النحاس على وجه الأرض خصائصه كذا وكذا.

إقامة الحدود من اختصاص السلطان:

شيء آخر؛ كلمة: ﴿فَاجْلِدُوا﴾ لم يقل الله: فاجلد، قال: ﴿فَاجْلِدُوا﴾ لماذا كان وجه الخطاب إلى المجموع؟ لأنّ كل خطاب موجه إلى مجموع المسلمين معناه أن أولي الأمر الذين أنيط بهم الأمر عليهم أن يطبقوه نيابة عن المسلمين، مادام المسلمون قد ارتضوا زيدا أو عبداً ليدير شؤونهم، فهذا الإنسان موكلٌ بتطبيق حد الزنى، لذلك هذا الحد لا يجوز أن يُطبّق من آحاد المسلمين، هذا الحد يُطبق من قبل أولي الأمر فقط، فلا يجوز أن يقول شخص: شاهدت شخصاً يزني فسأجلده!! من أنت؟ أنت من آحاد

المسلمين، هذا الحد لا يطبق إلا من قبل أولي الأمر، وحتى تريح نفسك فالحدود منوطة كلها بأولي الأمر وحدهم، فالإنسان يفكر إذا كان مسلماً يجب أن يقيم حد الله، هذا الكلام مرفوض.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ أيها المسلمون جميعاً، ويا من أنبت عنهم في إدارة أمورهم، إذاً الحكم موجه لأولي الأمر ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ حتى إن الله سبحانه وتعالى حينما يقول: **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)**

سورة النور

كلمة: ﴿وَأَنكِحُوا﴾ تعني على أولي الأمر أن ييسروا سبل الزواج، هذا أمر موجه إلى الأمة، وبالتالي إلى من يلي أمور الأمة، فتيسير الزواج للشباب هذا العمل من أوائل أعمال أولي الأمر.

أأنتم أرحم أم الله ؟

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فلعل هذه الرأفة رأفة مزيفة، أنتم أرحم أم الله ؟ هو الخالق، هو الرحمن الرحيم، هو الذي يعلم كل شيء، هو الخبير بنفوس عباده، لذلك هذه الرأفة لا معنى لها، هي رأفة ساذجة، قال تعالى:

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)

سورة البقرة

فحياة المجتمع تقوم على إقامة الحدود، فإذا أقيم حد السرقة، وحد الزنى، عاش الناس في بحبوحة، وفي أمن، وفي سلام، وفي طمأنينة. هناك إشارة في سورة الإسراء متعلقة بالزنى، يقول الله عز وجل:

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33)

سورة الإسراء

الحكمة من ورود النهي عن الزنا بين آيتي النهي عن قتل النفس:

هنا سؤال، لماذا جاء النهي عن الزنى بين آيتي القتل؟ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ بينهما جاء النهي عن الزنى، فقد استنبط بعض العلماء أن الزنى بمثابة القتل، ولكنه قتل معنوي، فالمرأة إذا زنت تكون وكأنها قُتِلت، وكأنها انهارت، فقدت مكانتها، وكذلك الرجل، فلذلك لشدة العناية بهذه الفضيلة؛ فضيلة العفاف جاءت جريمة الزنى بين جريمتي القتل، وكأنه قتل معنوي، إذا كان

القتل المادي إزهاق الروح، فالقتل المعنوي تضييع النفس، واضمحلالها، وذهاب كرامتها، وشأنها، وعزتها. هذا شيء.

أسلوب التهيج: **إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**

والشيء الآخر:

﴿ **وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ فهذه الآية هي أسلوب التهيج، أقول له: إذا كنت رجلاً فافعل ذلك، إذا كنت مؤمناً حقاً فأقم هذا الحد ﴿ **وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ لأن من لوازم المؤمن أن يبتعد عن الزنى، ومن لوازم المؤمن أن يقيم هذا الحد.

حد الزنا عقوبة للزاني وردع للباقي:

﴿ **وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ لماذا؟ قال العلماء: المشاهدون، في الحقيقة أن الإنسان يتلقى أحياناً ضرباً، فإذا تلقى هذا الضرب وحده من الضارب فقط فالألم مادي، ولكن إذا تلقى هذا الضرب أمام ملاً من الناس يعتقد أن الألم يتضاعف آلاف، بل ملايين الأضعاف فعندنا ضرب، وعندنا إهانة، فربنا عز وجل ليس المقصود أن يكون الجلد مؤلماً إلى درجة أنه يؤذي، ولكن أن يوضع الإنسان في ساحة عامة، وأن يُجلد على ملاً من الناس، فلان أعوذ بالله، يا لطيف، فلان يجلد، أين شأنه؟ أين كرامته؟ أين عزته؟ فهذا عقاب رادع، عقاب مخيف.

﴿ **وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ وهناك شيء آخر، فهؤلاء المشاهدون حينما يرون الرجل قد ألقى على الأرض، وقد انهالت عليه السياط، وقد شعر بالألم والهوان معاً صار المشاهدون يحسبون ألف حساب لجريمة الزنى قبل أن يقدموا عليها، وكأن هذا الحد إذا أقيم على ملاً من الناس كان بمثابة التطعيم ضد مرض الزنى، تماماً كيف أن الإنسان يتلقى بعض المصول فيتحصن من بعض الأمراض، كذلك إذا رأى منظر جلد الزاني، فلربما كان هذا الجلد تلقياً له ضد مرض، أو جريمة الزنى. ﴿ **وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ من ثلاثة إلى ألف.

إِذَا: ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ أسلوب تهيج، إذا كنت كذا فافعل كذا، فهو مؤمن قطعاً، المخاطب مؤمن، ولكن هنا يستثير الله حماسه، ونخوته، وقواعد إيمانه، فاعله يبتعد، أو ينطلق إلى إقامة حد الله عز وجل ﴿ **وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ وإن شاء الله في الدرس القادم نتابع تفسير قوله تعالى:

الزَّانِي لَا يَنْكِحْ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ (3)

سورة النور

من بعض الأشياء الطريفة أنه في أمريكا تُرتكب في كل 30 ثانية جريمة قتل، أو اغتصاب، أو سرقة.

أعطاني أخ كريم بعض الكلمات مقتطفة من جريدة الثورة تفيد أن نتائج دراسة أجراها معهد لاستطلاع الرأي في هامبورغ، أن امرأة ألمانية غربية من كل اثنتين تقريباً تخون زوجها، أي خمسين بالمئة، امرأة من كل اثنتين تخون زوجها، وأن واحدة من كل عشرة تقريباً لها عشيق منتظم، وأن النساء المتزوجات يخنّ أزواجهن، وهناك تفاصيل أخرى، على كل يعني حينما يُطلق للإنسان العنان، وحينما لا تُقام حدود الله عز وجل يصبح المجتمع كله فوضى، فكما جاء النبي إلى قومه في الجاهلية، والحياة فيها فوضى، إذا تعود الحياة أحياناً إلى نوع من الفوضى لا ينقذنا منها إلا إقامة حدود الله.

والحمد لله رب العالمين.